مهمة إنسانية

محمود سالم

مهمة إنسانية

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

مهمة إنسانية

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٢ ٢٦٧١ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٤.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
المحادثة	١١
وجه من الماضي	١٥
الشاهد المشلول	١٩
«عثمان» وحيدًا	٢٣
رقم «صفر» غاضب	٢٧
البلدوزر	٣١
الرجل العظيم	٣٥
شكرًا لكم!	٣٩

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

المحادثة

أضاء تليفون غرفة «أحمد» على رقم ١ ... ومعنى هذا أن نائب رقم «صفر» ويسمونه «صفر-١» هو المتحدث ... وهو رجل غامض مثل رقم «صفر» تمامًا ... نادرًا ما يتحدث إلى أحد ... ومهمته القيام بعمل رقم «صفر» في أثناء غيابه.

وسمع «أحمد» صوت الرجل وهو يتحدث إليه مُتلهِّفًا ومتوترًا، على غير عادة زعماء منظمة الشياطين الـ «١٣» ...

قال رقم «صفر-١»: إن ما سأحدثك عنه الآن شيء خطير، لم يحدث من قبل في المنظمة ... فمنذ أسبوع بالضبط وصلتني ورقة رسمية من رقم «صفر» كتب عليها بضعة سطور ... إنه سيتغيَّب لمدة أسبوع في إجازة ... وإذا لم يعد بعد الأسبوع فإنني أقوم بعمله في زعامة المنظمة.

لم يُعلِّق «أحمد» على الحديث ... ولم يجد فيما يسمعه أي خطورة، ولكن رقم «صفر-١» عاد يقول: لم يتصل بي رقم «صفر» مطلقًا طَوال أيام الأسبوع ... وليست هذه هي عادته ... فهو دائمًا يتصل من أي مكان في العالم يكون فيه، لمعرفة سير الأمور في المنظمة.

وصمت رقم «صفر-١» قليلًا ثم عاد يقول: وقد انتهى الأسبوع أمس، دون أن يعود رقم «صفر» أو يتصل بي ... وقد أرسلت برقيات شفرية إلى كل عملائنا في العالم أسأل عنه ... ولكنهم جميعًا ردُّوا بأنه ليست هناك أية معلومات عن مكانه ... كما أنه لم يتصل بأي واحد منهم.

أحمد: وماذا يعني ذلك؟

رقم «صفر-١»: ستعرف كل شيء حالًا ... لقد قمت بعمل تحريات واسعة، وطلبت كل المكالمات المسجلة التي وصلت إلى رقم «صفر» قبل قيامه بالإجازة ... وأمضيت طَوال

يوم أمس، وهذا الصباح في قراءة كل شيء ... وعرفت لماذا قام رقم «صفر» بالإجازة ... ولماذا اختفى.

أحسَّ «أحمد» أنه مقبل على معلومات خطيرة، فقال: لماذا؟ ...

رقم «صفر-١»: إنها مسألة تتعلق بالحياة الشخصية لرقم «صفر» ... فقد ماتت أخته، بعد أن أنجبت ولدًا، رعاه رقم «صفر» حتى أصبح في السابعة من عمره ... ثم تركه عند قريبة له في القاهرة ... وعندما تولى العمل في منظمة الشياطين الـ «١٣» ... كان يتصل به يوميًّا تقريبًا، ويزوره بين فترة وأخرى ... إن هذا الولد الصغير يدعى «هشام» ... وهو الحب الكبير في حياة رقم «صفر» رغم أنه ليس ابنه.

وصمت رقم «صفر-١» ثم قال: واختفاء رقم «صفر» له علاقة بـ «هشام» ... فقد اختفى «هشام» منذ ثلاثة أيام، ولم يُعثَر له على أي أثر، وقد عرفتُ من مكالمة مسجلة ... وأنت تعرف أن جميع مكالمات المقر السري تُسجل ... عرفتُ من هذه المكالمة أن «هشام» ... كان قد خرج بدراجته للرياضة، قرب نادي «الزمالك» ولم يعُد ... وأن الشرطة قامت بالبحث عنه في كل مكان، فلم تعثر له على أثر ... وقد وجدت دراجته بجوار سور النادي في نفس يوم اختفائه!

أحمد: وماذا تظن؟

رقم «صفر-١»: هناك مجالٌ كبير للشك في أن عصابةً ما ... من العصابات التي صارعَتها «ش. ك. س» ... قد خطفَت «هشام»، إما انتقامًا من رقم «صفر» ... أو لابتزازِ أمواله ... أو للحصول على معلوماتٍ منه عن منظمة «ش. ك. س».

أحمد: ولماذا لم يبلغنا رقم «صفر» بما حدث؟

الرجل: من الواضح أنه اعتبرها مسألة شخصية ... لا تدخل ضمن مهمات الشياطين الـ «١٣».

أحمد: شيء يدعو للغرابة.

الرجل: لقد قرَّرت باعتباري نائبًا لرقم «صفر» ... أن يتدخل الشياطين الـ «١٣» للبحث عن «هشام».

أحمد: وعن رقم «صفر» أيضًا!

الرجل: أعتقد أنه سيظهر بعد انتهاء إجازته ... إن رقم «صفر» لا يخلط بين المسألة الشخصية ومسائل العمل.

أحمد: أرجو أن أذهب في هذه المهمة!

الرجل: طبعًا ... إنك من مصر ... ومن الأفضل أن ترأس المجموعة التي ستسافر ... ولكن لا تأخذ معك أكثر من ثلاثة ... فقد تأتي مهمات أخرى في أي وقت!

أحمد: هذا يكفي!

الرجل: ومتى ستسافر؟

أحمد: أرجو أن يصلَني من قسم المعلومات ... كل ما يمكن توفُّره من معلومات وصور عن «هشام».

الرجل: لقد أعددتُ لك ملفًّا كاملًا بالموضوع كله.

أحمد: شكرًا ... سنغادر المقر السري خلال ساعة، وسيكون معي «عثمان» و«زبيدة» و«إلهام»!

الرجل: أوافق ... وبالتوفيق!

بعد ساعة بالضبط من هذا الحديث كانت سيارتان من طراز مرسيدس «٢٨٠ إس» ... تغادران المقر السري في طريقهما إلى أقرب مطار ...

وبعد ثلاث ساعات تقريبًا كان الشياطين الأربعة يهبطون في مطار القاهرة ... في يومٍ شتويٍّ بارد من أيام شهر ديسمبر ...

وكان بانتظارهم في المطار ... سيارتان من نفس الطراز ... وسرعان ما كان الأربعة يتجهون إلى المقر السري الصغير.

كانت المعلومات التي يضمها ملف «هشام» قليلة ... فهي تتعلق بسِنِّه ... ودراسته ... وبعض صوره ... ولم يكن هذا يكفي مطلقًا للبداية ...

وقرَّر «أحمد» أن يقوم بزيارة لمكان الاختطاف ... وترك الشياطين الثلاثة لفتح الحقائب ... وترتيب الأشياء ... واستقلَّ سيارة انطلق بها إلى نادي الزمالك ... ولم تستغرق الرحلة إلا خمسَ دقائق.

كانت المعلومات تقول: إن آخر مكان شوهد فيه «هشام» هو الشارع الضيق المجاور لسور نادي الزمالك ... وهو يمتد من امتداد شارع ٢٦ يوليو حتى الميدان المطل على شارع جامعة الدول العربية ...

وقد اعتاد الصِّبية الصغار لعب الكرة في هذا المكان، فهم قريبون جدًّا من نادي الزمالك ... حيث يشاهدون كل يوم نجوم الكرة، ويحاولون تقليدهم ...

وقد كان «هشام» ... في طريق عودته من المدرسة عبر هذا الشارع ... وهو يركب دراجته ... وفي بعض الأحيان كان يتوقَّف للتفرُّج على مباريات الصبية الصغار ... وأحيانًا

كان يشترك معهم في مباراة قصيرة ... ثم يعود بعدها إلى منزله في ميدان «سفنكس» ... القريب الذي يُطِلُّ على سينما «سفنكس» الصيفي.

ركن «أحمد» سيارته المرسيدس أمام باب نادي الزمالك، ثم أخذ يتمشَّى في اتجاه الشارع.

وقد تذكَّر أنه عاش فترة الدراسة الإعدادية في هذا المكان ... حيث يوجد الفرن الآلي ... وشارع وادي النيل، وشهاب ... وكل الأماكن التي كانت ساحات فارغة ... وأصبحت عمائر ضخمة ...

كان سعيدًا وحزينًا في وقت واحد ... سعيد بعودته إلى أيام الطفولة الجميلة ... وذكريات الشوارع ... وحزين لخَطْف «هشام» ابن شقيقة رقم «صفر» ... والمهمة الشاقة التي تنتظره للبحث عن «هشام».

كان يمشي شارد الذهن قليلًا ...

بينما كل شيء حوله يموج بالحركة ... السيارات ... والأتوبيسات ... والدراجات ... والناس ... بالرغم من الشتاء ... واحتمالات المطر.

وفجأة بدا له أنه شاهد وجهًا يعرفه ...

نعم ... أحد الأصدقاء القدماء من المدرسة الابتدائية، إنه لا يتذكر اسمه ... ولكن يتذكر هذا الوجه تمامًا رغم مرور السنين ...

لقد كان ولدًا ذكيًّا ... كان هو الأول دائمًا في سنوات الدراسة كلها ...

وأخذ «أحمد» يُجهِد ذاكرتَه حتى يتذكرَ اسمه، ولكن الشابَّ الوسيم أراحه من الجهد عندما صاح: «أحمد»!

وجه من الماضي

توقَّف «أحمد» في مكانه والتفت إلى صديقه القديم وتذكَّر على الفور اسمه «شريف» ... واتجه الصديقان أحدهما ناحية الآخر ... وامتدَّت الأيدي بسلام حار ...

وقال «شريف»: إلى أين؟

أحمد: بلا اتجاه!

شريف: ما رأيك في كوب من الشاي؟

أحمد: سيسعدني جدًّا!

وسارا خطوات قليلة إلى أحد كازينوهات الزمالك، وجلس الصديقان يتحدثان عن ذكريات الماضي وهما ينظران من خلف الزجاج إلى الأماكن التي سارا فيها معًا في أيام الطفولة ...

وأخذ «أحمد» يفكر في طريقة لا تلفت انتباه «شريف» إلى مهمته في القاهرة ... وفي نفس الوقت الحصول على معلومات من «شريف»، وعن حادث اختفاء أو اختطاف «هشام» ابن أخت رقم «صفر».

وهكذا أخذ يتحدث عن أيام لعب الكرة في الشوارع القريبة ... وحدث ما لم يكن يتوقعه «أحمد» فقد قال «شريف»: منذ أيام حدث حادث غريب بجوار سور نادي الزمالك.

وأمسك «أحمد» أنفاسه ...

ومضى «شريف» يقول: أثناء مباراة في الكرة بين تلاميذ المدارس الذين تعوَّدوا اللعب في الشارع الموازي للسور ... أثناء المباراة كان ولد يدعى «هشام» يقف في مركز حارس المرمى ... وقام أحد اللاعبين من الفريق المنافس بقذف الكرة بحيث طالت ... وذهبت إلى حارة صغيرة بين المنازل ...

وأسرع حارس المرمى «هشام» لإعادة الكرة ... وانتظره بقية اللاعبين ليعود بالكرة ... ولكنه تأخر ... وذهب بعض اللاعبين لاستعجاله ... ولدهشتهم الشديدة لم يجدوه ... وانتظروه طويلًا فلم يعد. رغم أنه كان قد ترك دراجته وكتبه بجوار السور كما يفعل بقية التلاميذ ...

واحتار الأولاد ماذا يفعلون!

وقرَّر بعضهم الذهاب إلى نقطة شرطة المهندسين القريبة للإبلاغ بما حدث ... وقام رجل الشرطة بالبحث في كل مكان ... وسؤال كل الأولاد عن تفاصيل الاختفاء، ولكن لا معلومات مفيدة على الإطلاق!

أحمد: إن هذا الولد «هشام» يهمُّني جدًّا.

شريف: هل هو قريبك؟

أحمد: ليس بالضبط ... ولكن اختفاءه أمر خطير للغاية ويهمُّني أن أعثر عليه.

شريف: إذن اذهب إلى الشرطة.

أحمد: سأذهب ... ولكني في حاجة إلى معلومات أكثر!

شريف: إن شقيقي الصغير «كريم» كان يلعب مع الأولاد في هذه المباراة ... ونستطيع أن نسأله ... إنه الآن مشترك في مباراة في نفس المكان.

قام «أحمد» واقفًا، ودفع ثمن الشاي ... ثم قال لـ «شريف»: هيَّا بنا!

خرج الصديقان إلى الشارع البارد ... وسارا قليلًا ثم انحرفا إلى ناحية اليسار، ودخلا الشارع الصغير بجوار نادي الزمالك ...

كان هناك مجموعة من الصِّبية يلعبون الكرة كالعادة في هذا المكان ... وأشار «شريف» إلى حارة ضيقة بين المساكن وقال: في هذا المكان ذهبت الكرة ... وذهب خلفها «هشام».

أحمد: تعالَ نذهب إلى نفس المكان.

اتجها إلى الموقع الذي ذهبت إليه الكرة ... وأشار إليه «شريف» ... ووقف «أحمد» ينظر حوله ... كانت هناك مجموعة من المساكن تحيط بالمكان ... ويمكن لأي ساكن فيها أن يشاهد ما حدث ... ثم أخذ يقيس المسافات ... إن أي سيارة مهما كان حجمها ... يمكن أن تدخل هذا الشارع ...

ونظر «أحمد» إلى مسكن مقابل للمكان الذي سقطت فيه الكرة ثم اتجه إليه ... كان هناك وجه صبي صغير ينظر إليهما وأشار إليه «أحمد» ... وفتح الصبي النافذة ونظر إلى الشابَّيْن ...

قال «أحمد» للولد الصغير: مساء الخير!

ردَّ الولد: مساء الخير!

أحمد: لماذا أنت في النافذة ... لماذا لا تنزل وتلعب مع الصغار؟

الولد: إنني لا أستطيع أن أشارك الصغار اللعب ... لأنني مشلول!

انقبض قلب «أحمد» لهذه الجملة، وندم على ما قاله ... وسكت ... ولكن الولد الصغير الشجاع مضى يقول: ولكنني أستمتع بالمباريات كأنني ألعبها ... فأنا أتفرَّج عليها.

أحمد: كل المباريات؟

الولد: أكثرها.

أحمد: هل رأيت المباراة التي ...؟

ولدهشة «أحمد» الشديدة، قال الولد: التي انتهت باختفاء حارس المرمى؟

اندفع «أحمد» يقول: نعم ... نعم.

الولد: شاهدتُها طبعًا ... وشاهدتُ كلَّ ما حدث.

أحمد: شاهدتَ اختفاء حارس المرمى؟

الولد: نعم ... شاهدتُ السيارة التي ركب فيها.

أشار «أحمد» إلى صديقه «شريف» ... وقال: هل تعرف هذا الولد؟

شريف: إنه قريبي.

أحمد: أريد أن أقابله.

شريف: تعالَ نصعد إليه.

ودخل الصديقان في دهليز مظلم، وصعدا سُلَّمًا من الحجر حتى الدَّوْر الثالث، حيث توقَّف «شريف» أمام باب الشقة اليُمنى، ثم ضغط زر الجرس، وبعد لحظات فتحت سيدة شابة.

عندما شاهدت «شريف» ... قالت بتَرْحاب: أهلًا شريف!

شريف: جئتُ لزيارة «وحيد».

السيدة: سيكون سعيدًا جدًّا بهذه الزيارة.

شريف: ومعي صديق لي.

السيدة: مرحبًا بصديقك.

ودخل الصديقان، فاجتازا الدهليز إلى بلكونة قد غُطِّيَت بالزجاج ... حيث كان الولد الصغير المشلول يجلس على كرسي بجوار النافذة المفتوحة ...

قدَّم «شريف» كلًّا من «أحمد» و«وحيد»، كلًّا منهما للآخر ... وكان «أحمد» منفعلًا بهذه الصدفة المدهشة التي وضعت يده على خيط قد يكون هامًّا لمتابعة اختفاء «هشام».

جلس الصديقان بجوار الولد المشلول الذي كان — رغم ساقيه العاجزتين — مبتسمًا ولطيفًا، ورحَّب بهما ترحيبًا حارًّا، ثم نظر إلى «أحمد» بعينين يشعُّ منهما الذكاء ... وقال: هل يهمك أن تعلم ماذا حدث في ذلك اليوم؟

أحمد: إنه يهمني جدًّا ... إن الولد المختفي قريبي.

وحيد: لقد كان ولدًا طيبًا وكان يُفضِّل حراسة المرمى دائمًا، وقد كان بارعًا رغم صغر سِنِّه.

أحمد: نعم.

وحيد: في ذلك اليوم لاحظت وجود سيارة في شارعنا الضيق، وقفت منذ الصباح المبكِّر.

الشاهد المشلول

ازدادت علامات الاهتمام على وجه «أحمد» ... وسكت الولد لحظات ثم مضى يقول: إنني أعرف جميع السيارات التي تقف في شارعنا وأعرف أرقامها؛ لأنني أجلس هنا أغلب الوقت أرقب ما يحدث في الشارع ... وأتفرَّج على مباريات الكرة ... سواء في الشارع أو في ملعب الزمالك.

أحمد: إنك ولد رائع.

وحيد: لقد كنت أتمنى أن أكون لاعب كرة ... ولكن شلل الأطفال هاجمني وجعلني عاجزًا عن الحركة.

أحس «أحمد» أن يدًا حديدية تعتصر قلبه ... ولكنه ابتسم ابتسامة مشجعة، وقال: ستُشفَى بإذن الله وتحقِّق أمنيتك.

وحيد: لا أظن ذلك ... فلا بُدَّ من سلسلة من العمليات الجراحية التي تتكلف كثيرًا ونحن لسنا أغنياء.

أحمد: بإذن الله ستجد من يساعدك ... سواء من الحكومة أو من غيرها ...

الولد: آسف أن أشغل وقتك بالحديث عني.

أحمد: أبدًا ... إنني أشكرك كثيرًا.

الولد: في ذلك اليوم لاحظتُ وجود سيارة من طراز كاديلاك، وهو طراز نادر الوجود في شارعنا على الأقل.

أحمد: هل تعرف أنواع السيارات بسهولة؟

الولد: نعم ... وعندي سيارات أقصد نماذج لأغلب السيارات وأنواعها ... وأبي يُحضر لي الكتالوجات الخاصة بالسيارات.

أحمد: عظيم!

وحيد: إنها من طراز كاديلاك موديل ١٩٥٨م.

أحمد: إنها قديمة.

وحيد: نعم ... ولكنها في حالة جيدة جدًّا ... تبدو وكأنها خارجة من المصنع ...

أحمد: وبعد ...

وقفت السيارة بجوار المنزل الذي يُطِلُّ على الناصية ... ولم أستطع أن أشاهد من فيها ... ولكن وقوفها الطويل أثار انتباهي ... وعندما أخذ الأولاد يخرجون من المدارس وبدأت مباريات الكرة ... لاحظت أن رَجُلين قد خرجا من السيارة ووقفا على قمة الشارع، ثم عادا بعد قليل وقادا السيارة إلى نهاية الشارع ... وكان واضحًا من وقفتهما أنهما يراقبان أحدًا ...

أحمد: كيف عرفت؟

وحيد: من تحركهما الدائم ... فهما لا يقفان في مكان واحد ... بل يتحركان معًا أو كل واحد وحده ... ولكنَّ عينيهما مركزة على شخص واحد؛ هو «هشام»!

زاد انتباه «أحمد» لحديث «وحيد» وقال مشجعًا: وماذا حدث بعد ذلك؟

وحيد: كانا يتبعان تحركاته في انتظار لحظة مناسبة ... وقد جاءت اللحظة عندما دخلت الكرة إلى الشارع الضيق، وسقطت خلف السيارة الكاديلاك الكبيرة ... في لحظات كان الرجلان ينقضَّان على «هشام» ... الذي كان قد انحنى على الأرض للبحث عن الكرة ... وفتحا غطاء الشنطة الخلفية للسيارة وألقياه فيها ... ثم انطلقت السيارة بأقصى سرعتها ...

أحمد: وهذه المعلومات ... هل أبلغتَها للشرطة؟

وحيد: لم يسألني أحد!

أحمد: هل تذكر رقم السيارة؟

وحيد: لم يكن في إمكاني أن أراها بالكامل ... ولكن نهاية الأرقام كانت ٦٦.

أحمد: أشكرك كثيرًا ...

وحيد: كنت أريد أن أدلي بهذه المعلومات لمن يستفيد منها، ولكني مشلول ولا أستطيع الذهاب إلى الشرطة.

أحمد: إنها معلومات على جانب كبير من الأهمية ... وسوف يتم الاستفادة منها لإنقاذ «هشام».

وحيد: أتمنى أن تخبرني بوجوده إذا عثرت عليه ... فقد كنت مُعجبًا به جدًّا.

أحمد: سأخطرك بذلك ... وربما بأشياء أخرى.

ونزل «أحمد» وصديقه «شريف».

وأسرع «أحمد» إلى سيارته بعد أن اتفق مع «شريف» على لقاء آخر.

دخل «أحمد» المقر السري للشياطين في حي الدقي، وكان بقية الشياطين في انتظاره ... وقال «عثمان» على الفور: لقد وصلت رسالة لاسلكية من رقم «صفر-١».

تقول: «إن رقم «صفر» قد غادر مصر إلى جهة غير معلومة ... وهذا يعني أن الولد المخطوف تم نقله من مصر ...»

وقعت هذه الأخبار على «أحمد» وقْعَ الصاعقة ... فإذا كان «هشام» قد خرج من مصر ... فإن جميع المعلومات التي حصل عليها من «وحيد» لا قيمة لها ... فارتمى على أقرب مقعد حزينًا واجمًا ...

ولكن بعد لحظات استعاد نفسه وقال: ربما يكون ذلك صحيحًا ... وربما لا يكون ... لقد حصلتُ معلومات هامة عن عملية اختطاف «هشام» ...

وأخذ يشرح لزملائه الثلاثة ما حصل عليه من معلومات ... ثم طلب من «إلهام» أن تتصل بعميل رقم «صفر» في القاهرة، وتطلب التحري عن السيارة الكاديلاك السوداء ... ثم استلقى على الفراش واستسلم للنوم.

خرج الشياطين الثلاثة وتركوا «أحمد» ليرتاح ... أخذوا يسيرون في شوارع الدقي متجهين إلى أحد فنادق القاهرة ... والذي كان يُطل على النيل، في مشهد من أجمل مشاهد القاهرة.

وعندما وصلوا إلى مدخل الفندق، توقَّف «عثمان» فجأة وأخذ ينظر إلى شخص دخل الفندق قبلهم ... ثم ترك «إلهام» و«زبيدة» قائلًا: نلتقي في الكافيتريا.

أسرع «عثمان» خلف الرجل الذي اتجه ناحية المصاعد ... ووقف أمامه ... وقف «عثمان» ينتظر المصعد أيضًا. والتفت إليه الرجل، وألقى إليه نظرة غامضة ... وتظاهر «عثمان» بأنه ينظر إلى أرقام المصعد التي كانت تتصاعد كلما مرَّ المصعد بأحد الأدوار ... وأخيرًا وصل المصعد، ودخل المنتظرون وكانوا أربعة ... ودخل «عثمان» أيضًا، وبطرف عينه نظر إلى يد الرجل وهو يضغط زر الطابق الثاني والعشرين ... كان الرجل طويلًا ونحيفًا، ولكن من الواضح أنه قوي العضلات ... وكان يرتدي معطفًا أسود ... ليُخفيَ الجزءَ الأكبر من وجهه ... الذي يُشبه وجه الفأر.

وصل المصعد للطابق الثاني والعشرين ... وخرج «عثمان» أولًا ... ولكنه تظاهر بأنه يربط رباط حذائه حتى تتاح له الفرصة ليرى أين يذهب ذو المعطف الأسود ...

رآه «عثمان» يتجه إلى ١٠ / ٢٢ ويفتح الباب، وذهب «عثمان» إلى الناحية الأخرى حتى لا يثير شكوك الرجل ... ثم انتظر دقيقة، وعاد للمصعد مرة أخرى ... ووقف ينتظر ... وهو يختلس النظر إلى باب ١٠ / ٢٢ ... وكانت مفاجأة له عندما لاحظ أن الباب لم يكن موصدًا بالكامل ... بل كان مفتوحًا قليلًا ... وثمة شخص يقف خلفه يراقبه ... تأكدتْ شكوك «عثمان» فهو يتذكر هذا الوجه ... لقد رآه من قبل في إحدى مغامرات الشياطين الـ «١٣» في أمريكا ...

وما دام الرجل يراقبه هو الآخر فمعنى هذا أن شكوكه في موضعها ... فهذا الرجل المريب أحد أفراد العصابات ... التي اشتبك معها الشياطين الـ «١٣» ... فما هي مهمته في القاهرة؟!

«عثمان» وحيدًا

كان الطابق خاليًا ... وامتدت يد الرجل من خلف الباب تحمل مسدسًا ... وقبل أن تنطلق الرصاصة بثانية ... أو أقل، كان «عثمان» يُلقي نفسه على الأرض ... واصطدمت الرصاصة بباب المصعد المغلق ... وأحدث صوتًا حادًّا ...

زحف «عثمان» ناحيةَ السُّلَّم المجاور للمصعد ... ثم انزلق عليه بسرعة ولم يتوقَّف إلَّا عند نهاية السلالم الخمسة ... ثم وقف ... وأطلق ساقيه نازلًا ... حتى وصل إلى الطابق الخامس عشر، فتوقَّف، ثم اتجه إلى المصعد ... ودخله لاهث الأنفاس.

لقد تطورت الأمور بسرعة لم تكن متوقَّعة ... نزل إلى صالة الفندق واتجه يسارًا إلى الكافتيريا ... كانت «إلهام» و«زبيدة» جالستين وتنظران إلى مشهد النيل، وقد أخذت الشمس في المغيب بسرعة ... وأقبل ليل ديسمبر المظلم ...

جلس أمامهما ... وروى بسرعة تفاصيل ما جرى له ... ووصف الرجل وصفًا دقيقًا ثم قال: إنني أريد أن أضع له طُعمًا ... وهو يتصور أنني وحدي فريسة سهلة ... لهذا فإنني سأترككما الآن ...

إلهام: سنتبعك من بعيد.

عثمان: وبحذر شديد!

وقام «عثمان» وأخذ يتمشَّى في صالة الفندق الواسعة ... واتجه إلى محل يبيع الحلي والتحف الشرقية ... وأخذ يتفرج، ولكنه في الحقيقة كان يشاهد الصالة كلها منعكسة على زجاج الفترينة ... ومضت دقائق، ثم ظهر ذو المعطف الأسود ... وأسرع «عثمان» يدور حول المحل ... وأخذ ينظر من بعيد إلى وجه الفأر ... لم يكن الرجل وحده هذه المرة ... كان معه شخص آخر على العكس منه تمامًا ... قصير ممتلئ ... وفي مشيته عَرَج خفيف ...

وقف الاثنان يتحدثان في الصالة ... ولكن من نظراتهما أدرك «عثمان» أنهما يبحثان عن شيء ... أو شخص ... ربما هو ... وربما غيره ... وقرَّر أن يراقبهما ... وسرعان ما انضم إليهما رجل ثالث ... ثم اتجه الجميع إلى باب الفندق المطل على النيل ... وأسرع «عثمان» خلفهم، ومن بعيد لمح «زبيدة» و«إلهام» تتابعانه عن قرب ... وكانت المشكلة أنه لم يكن يحمل معه أسلحة ... سوى كرته الجهنمية التي لا يسير بدونها.

في قفزات سريعة وصل إلى الباب ... وكان الظلام قد هبط تمامًا على المدينة، وعلى النيل ... وانبعثت أضواء آلاف المباني على شاطئ النهر ... واستطاع على وهج الأضواء أن يرى أشباح الرجال الثلاثة ... كانوا يسيرون على النهر ... ثم داروا حول الجزيرة ... وتوقَّفوا لحظات ... ثم عاودوا السير حتى وصلوا إلى مرسًى للقوارب ... وأسرع «عثمان» خلفهم ... وعندما وضعوا أقدامهم داخل اليخت الأبيض الذي كان في انتظارهم لم يتردَّد «عثمان»، قفز إلى مياه النهر الباردة ثم تعلَّق بمؤخرة اليخت في الظلام حيث لا يراه أحد.

كان اليخت جاهزًا للإبحار، كان محركه يعمل بصوت رتيب منتظم ... وعندما أصبح الثلاثة على ظهره انطلق مبحرًا ...

كان الجو باردًا ... والمياه باردة ... وانتظر «عثمان» حتى غادر اليخت الشاطئ ... ثم تسلَّق السلسلة الخلفية ... ووصل إلى سطح اليخت، وألقى نظرة ... لم يكن هناك أحد ... ففي مثل هذه اليخوت الصغيرة لا يوجد سوى القبطان ومساعده ... انزلق إلى سطح اليخت، وزحف حتى قرب السُّلَّم ... ثم أخذ يتسمَّع ... كان من الصعب أن يستمع إلى أي شيء ... فقد كان هدير المحرك يُغطِّي على أي صوت.

نزل السُّلَّم بخفة حتى آخر السُّلَّم ... وشاهد بابًا مواربًا ... خلفه صالون اليخت، واستطاع أن يسمع كلمات مختلطة تصدر من مجموعة رجال يتحدثون الإنجليزية ... واستطاع أن يتبين كلمات مثل «حلوان ... الكوبري ... الطائرة» ... ثم فجأة فُتح الباب ... وأسرع «عثمان» يصعد السُّلَّم في سرعة ... ثم اختبأ خلف كابينة القيادة ... وصعد رجلان إلى ظهر اليخت ... وأخذا ينظران إلى شاطئ النيل ...

قال أحدهما: هل تظن أن رسالة وصلته؟

ردَّ الثاني: لقد كان الإعلان في جريدة الأهرام واضحًا ...

الأول: لعله لم يقرأه!

الثاني: لقد وصلته رسالتنا ... إنه يقرأ الأهرام ... ومن المؤكد أنه قرأه بعناية، ووصل إلى الإعلان وفهِمَ ما فيه.

الأول: هل تعتقد أن نص الإعلان كان واضحًا بما يكفي ليفهم ما المقصود؟

الثاني: كان نص الإعلان: «مطلوب رجل أمن مُدرَّب ... سبق له العمل في جهاز كبير ... سيتقاضى مرتبًا ضخمًا ... ومكافأة كبيرة، تُرسَل البيانات إلى رقم «صفر»، باسم «هشام».»

الأول: الإعلان على جريدة الأهرام واضح طبعًا ... فهو رقم «صفر» ... وابن شقيقته المختفي هو «هشام».

وتوقَّف الاثنان عن الكلام ... وكان «عثمان» لا يكاد يصدِّق أذنيه ... فقد حصل على معلومات هامة أيضًا ... فهؤلاء الرجال هم الذين خطفوا «هشام» وهم يريدون من رقم «صفر» أن يتصل بهم ... فهل يقع رقم «صفر» في المصيدة؟

كان اليخت متجهًا جنوبًا إلى «حلوان» ... وأحسَّ «عثمان» برعشة قوية ... فقد كانت ثيابه مُبلَّلة ... والريح الباردة تعصف به ... وهو قابع خلف كابينة القيادة ... ولم يكن معه سلاح يمكن أن يستخدمه للسيطرة على الموقف ... وأخذ يفكر فيما ينبغي عملُه ... لم يكن أمامه إلا أن ينتظر ويرى.

نزل الرجلان مرة أخرى إلى جوف اليخت ... وتحرك «عثمان» في اتجاه نهاية اليخت ... ومضت نصف ساعة، أشرف فيها اليخت على الوصول لجزيرة الذهب المواجهة للمعادي ... وأخذ يبطئ من سرعته حتى توقَّف ... وظهر قارب صغير يقترب من اليخت ... وكانت دهشة «عثمان» لا مثيل لها ... عندما استمع إلى صوت كلاب يصدر من القارب ... وعندما اقترب من اليخت تمامًا ... استطاع «عثمان» أن يرى ثلاثة كلاب من نوع «الوولف» ذات اللون الأسود تُكشِّر عن أنيابها ... وأحس بأن الخطر قادم، وأنه يجب أن يتصرف سريعًا ...

فهذه الكلاب يمكن أن تشم رائحته فورًا، وانتهز «عثمان» فرصة صعود مدرب الكلاب إلى سطح اليخت ... وتسلل بهدوء نازلًا إلى القارب ثم أخذ يجدِّف مبتعدًا قبل أن يكتشفه الموجودون على اليخت ...

ابتعد سريعًا ... ولكنه لم يترك اليخت يبعد عن عينيه وقد توقَّف عند شاطئ الجزيرة ... ووقف يراقب اليخت من بعيد ... ولكن حدث ما لم يكن يتوقعه ... فقد أحس بأقدام مسرعة تقترب منه ... وقبل أن يتمكن من عمل شيء ... شاهد مسدسًا لامعًا يمتد إليه في الظلام، وصوت يقول: من أنت؟ وماذا تفعل هنا؟

لم يردَّ «عثمان»؛ فهذا الذي يسأله لا يعرفه ... ومن السهل عليه أن يدَّعي أي شيء ... لهذا ردَّ مسرعًا: إنني صياد فقير أبحث عن رزقي.

قال الصوت الخشن: اصعد إلى فوق!

قام «عثمان» من مكانه وصعد الشاطئ الطيني ... وهو يسمع صوت محرك اليخت وهو يبتعد ورأسه يكاد ينفجر من فرط التفكير.

رقم «صفر» غاضب

كان هناك شبحان أسودان يقفان على الشاطئ ... وفي يد كل منهما مسدس يلمع على وهج الأضواء البعيدة ... ورفع أحدهما يده بالمسدس، وكان واضحًا أنه سيهوِي به على رأس «عثمان» ... عندما انطلقت رصاصة في الظلام أطارت المسدس من يد الرجل، وارتفع صوته مزمجرًا ... وقفز «عثمان» على الرجل الآخر قبل أن يُفيق من أثر المفاجأة.

لم يعرف «عثمان» مصدر الطلقة ... كان الظلام كثيفًا والأرض موحلة، واستطاع الرجل الإفلات من قبضة «عثمان»، وأطلق ساقيه للريح ... وفي هذه اللحظة سمع «عثمان» صوت «إلهام» تقول: «عثمان»!

ردَّ «عثمان»: ماذا حدث؟

إلهام: لقد أرسلت «زبيدة» إلى «أحمد» لتبلغه بالتطورات، وركبتُ سيارة وانطلقتُ بجوار شاطئ النيل لأراقب فيها اليخت حتى توقَّف عند الجزيرة، فنزلت وحضرت.

عثمان: لقد حضرتِ في الوقت المناسب.

إلهام: لقد هرب الرجلان، ولم أُرِدْ إحداث ضجَّة تلفت الأنظار.

عثمان: خيرًا فعلتِ ... إنهم ذاهبون إلى حلوان باليخت ... وأعتقد أن ثمة طائرةً مُعدَّة لنقل بعض الأشخاص أو شخص واحد خارج مصر.

سار الاثنان حتى اجتازا الجزيرة ... ووجدا القارب الذي حضرت فيه «إلهام» ما زال مكانه، فركباه واتجها إلى شاطئ النيل، حيث كانت أضواء الكازينوهات اللامعة وأضواء الشوارع تُبدِّد الظلام.

كانت ثياب «عثمان» المُبلَّلة والريح الباردة أكثر مما يحتمل، فقالت «إلهام»: سنعود فورًا إلى المقر السري.

عثمان: ولكن ...

إلهام: ليس هناك ما يمكن عمله ... وسنرى ما هي معلومات «أحمد» وكيف نتصرف.

استقلَّا تاكسيًا إلى المقر في الدقي ... وعندما وصلا إلى هناك لم يجدا «أحمد» ولا «زبيدة» وكانت هناك رسالة مكتوبة من «أحمد».

«لقد حدَّد لي عميل رقم «صفر» تحركات السيارة الكاديلاك ... إنها ملك شخص يدعى «معوض الشامي» وهو ليس مصريًّا ويقيم في شارع بالمعادي ... سأذهب مع «زبيدة» لاستطلاع الموقف ... وسأتصل تليفونيًّا.»

أسرع «عثمان» بتغيير ثيابه، وأعدت له «إلهام» فنجانًا من الشاي الساخن، وأحسَّ بالدِّفء والراحة ... وفي هذه اللحظة أشارت اللمبة الحمراء أن ثمة رسالة من «ش. ك. س».

وأسرعت «إلهام» تتلقى الرسالة ...

كانت من نائب رقم «صفر»: «إلى ش١٣ ... ما هي الأخبار؟»

ردَّت «إلهام» على الفور: «لقد وضعنا أيدِيَنا على بعض المعلومات الهامَّة ... إننا نُرجِّح أن «هشام» ما زال في القاهرة، أرجو أن نتمكَّن من إنقاذه.»

من «ش. ك. س» إلى ش١٣

«اتصل رقم «صفر» منذ ساعة ... وهو غاضب جدًّا لتدخُّلكم ويطلب منكم العودة فورًا.»

فكَّرت «إلهام» قليلًا ثم تحدثت مع «عثمان»، وقال «عثمان»: إن تعليمات رقم «صفر» لا يمكن تجاهلها!

إلهام: ولكننا نكاد نصل إلى شيء مهم.

عثمان: الحل الوحيد هو أن نُسرع في العمل، لا بُدَّ أن ننتهيَ منه الليلة.

إلهام: وماذا تقترح؟

عثمان: قولي له إننا سنعود غدًا، ولعلنا نستطيع الوصول إلى «هشام» في هذه الليلة.

أسرعت «إلهام» إلى اللاسلكي ودقَّت الرسالة:

من ش١٣ إلى «ش. ك. س»

«سنُنفِّذ تعليمات رقم «صفر» ونعود غدًا.»

وعادت إلى «عثمان» ... وجلسا بجوار التليفون في انتظار مكالمة «أحمد» ... ولم ينتظرا طويلًا ... فقد دقَّ جرس التليفون وتحدث «أحمد»، وعندما سمع صوتَ «عثمان»، قال: الحمد لله ...

عثمان: لقد اتصل رقم «صفر» بالمقر السري ... وطلب عودتنا فورًا ... لأننا تدخَّلنا ... دون إذن منه.

أحمد: لقد رأيت رقم «صفر»!

ذُهل «عثمان» — فهذه أول مرة يرى فيها أحد الشياطين رقم «صفر» — وقال: كيف؟

أحمد: إنني لم أره طبعًا وجهًا لوجه ... ولكنني عندما وصلتُ إلى رقم ١ بشارع بالمعادي وجدتُ فيلَّا مطفأة الأنوار ... ووجدت السيارة الكاديلاك موجودة في الحديقة ... ونزلت مع «زبيدة» ... وقد قرَّرنا فتح الفيلَّا، ومحاولة العثور على «هشام» فيها، أو على أي دليل يمكن أن يَهديَنا ... وعندما اقتربنا من الباب متستِّرين خلف أشجار الحديقة، شاهدت شبحًا يمرق خارجًا ... كان الظلام كثيفًا ... ولكني عرَفت من الهيكل الخارجي للرجل أنه رقم «صفر»، ولعلك تذكر أننا رأيناه من مسافة بعيدة في بيروت ... وقد تأكدت، عندما سار على ممر الحديقة ... وسمعت نفس الخطوات الثقيلة.

عثمان: معنى ذلك أنه حصل على نفس المعلومات؟

أحمد: نعم ... ولكن ربما بطريقة أخرى.

عثمان: ما العمل؟

أحمد: ما هي معلوماتك؟

عثمان: إنهم الآن في حلوان ... في مكان قريب من الكوبري العالي.

أحمد: تعالَ أنت و«إلهام» فورًا. سننتظركم عند «الجود شوط».

عثمان: فورًا!

أسرع «عثمان» و«إلهام» إلى السيارة المرسيدس، ولم ينسَ «عثمان» أن يأخذ معه الأسلحة الكافية.

قادت «إلهام» السيارة كالريح ... وبعد نصف ساعة كانوا أمام «الجود شوط»، وكانت السيارة المرسيدس الثانية تقف أمام باب الكازينو وفيها «أحمد» و«زبيدة» ... وانطلقت السيارتان في طريق حلوان.

كان الأربعة يفكرون في شيء واحد ... البحث عن اليخت الأبيض قرب الكوبري العلوي ... ولم يكن ذلك صعبًا ...

بعد نحو ربع ساعة أشرفا على منطقة المصانع في «حلوان»، ولحسن الحظ كان انسياب المرور معقولًا، فلم يتعطَّلا في العبور في دائرة الكوبري ... ثم مرَّا فوقه ... ونزلا مرة أخرى في الجانب الآخر منه ...

كانت هناك مجموعة من المقاهي والبيوت الصغيرة تحيط بالمكان، فاختارا الجانب الآخر من الشارع حيث تتجاوز مئات من أشجار النخيل، ويمكن أن تُخفيَ أيَّ شيء. نزل الأربعة من السيارتين واتجهوا إلى شاطئ النيل ... لم يستغرق البحث سوى عشر دقائق، وشاهدا اليخت الأبيض يقف عند الشاطئ ... ونزلوا إليه.

كان اليخت مُطفأ الأنوار عدا ضوء واحد ينبعث من المقدمة، حيث كان ثمة حارس يقف وحده ... أشار «عثمان» ... أنه سيتكفَّل به ...

فهمس «أحمد»: نريده سليمًا حتى نتحدث معه!

أخرج «عثمان» كرته الجهنمية، وقرَّر أن تكون الضربة متوسطة الشدة، بحيث تُسقِط الرجلَ وقد فقد وعيه ...

اقترب حتى مسافة خمسة أمتار ... ثم هزَّ الكرة بضعَ هزَّات، وأطلقها كالصاروخ ... أصابت الرجل، فدار حول نفسه ... وسقط.

في قفزتين سريعتين كان «عثمان» قد ركب اليخت، ووقف عند رأس الرجل الذي كان يحاول الوقوف.

وبقدمه ألقى سلاح الرجل إلى مياه النيل، وقال: لا تحاول الحركة.

وصل «أحمد» و«زبيدة» و«إلهام».

قال «عثمان» للرجل: أين هم؟

الرجل: من هم؟

أحمد: لا تضيِّع وقتًا وإلَّا ...

وهزَّ مسدسه الضخم في وجه الرجل ... صمت الرجل لحظات، ثم قال: إنني مجرد حارس ... و...

أحمد: نحن نعرف أنك مجرد حارس.

أشار الرجل بيده إلى طريق مُمهَّد بين أشجار النخيل، وقال: إنهم في عزبة الشامي ... على بعد أمتار من هنا.

البلدوزر

قام «عثمان» بتقييد الرجل وتكميمه سريعًا ... ثم قال «أحمد»: سأذهب مع «عثمان» ... عليكِ يا «زبيدة» أنتِ و«إلهام» بالتغطية.

وتقدَّم «أحمد» و«عثمان» في الظلام بين أشجار النخيل العالية والمتشابكة والريح الباردة تعصف ... ومن ورائهما بمسافة سارت «إلهام» و«زبيدة» ... وكان الجميع مسلحين تسليحًا جيدًا.

كان الظلام كثيفًا ... ولكن «أحمد» لم يغامر بإشعال أي ضوء، وسارا متقاربين، يحاولان الاستماع إلى أي صوت ... ولكن لم يكن هناك إلا صوت الريح ... ولكن بعد نحو خمسين مترًا، شاهدا ضوءًا ثابتًا على مرتفع من الأرض ... واتجها إليه، وهما يحاولان الاحتماء بالنخيل قد الإمكان ... فاللحظات القادمة حاسمة ... وأي خطأ قد ينتهي بمأساة.

اقتربا من الضوء ... كان يصدُر من ماكينة ريٍّ تعمل ليلًا، وقد جلس بجوارها فلاح، اقتربا منه ...

فسأله «أحمد»: أين عزبة الشامي؟

ردَّ الرجل: لماذا تسأل؟

أحمد: إننا ذاهبون لمقابلة الحاج.

الفلاح: الحاج؟! لقد مات!

أحمد: آسف ... إنني أقصد ولده.

الفلاح: سيد!

أحمد: نعم!

الفلاح: ولكن «سيد» سافر للعمل خارج مصر!

ضاق صدر «أحمد» وقال: أين العزبة؟

سكت الفلاح قليلًا ثم قفز فجأةً من مكانه ... وفي نفس الوقت انهال سيل من الطلقات ... لحسن الحظ كان «أحمد» و«عثمان» قد ألقيا بنفسيهما سريعًا على الأرض ... كما حال الظلام والأشجار دون إصابتهما ... وفي نفس الوقت انطلقت سلسلة من الرَّصاص قادمة من بعيد نسبيًّا، في الاتجاه الذي أتت منه الطلقات الأولى ... وأدرك «أحمد» و«عثمان» من صوت الطلقات المتميزة ... أن «زبيدة» و«إلهام» يتبادلان إطلاق الرَّصاص على المهاجمين.

جرى «أحمد» و«عثمان» معًا بحيث يبتعدان عن مجال الضرب ... وفكر «أحمد» لحظات وهو يجري، ثم قال لـ «عثمان»: تسلَّق النخلة التي أمامك!

وقام الاثنان بسرعة بتسلُّق نخلتين متجاورتين ... ومن ارتفاع خمسة أمتار استطاعا أن يشاهدا ما حولهما بصورة أفضل ... كانت هناك ثمة حديقة مترامية الأطراف ... يحيط بها سور مرتفع، وفي وسطها مبنًى قديم من ثلاثة أدوار، بجواره فيلَّا حديثة ... بينما كان المنزل مطفأ الأنوار عدا بعض الإضاءة الخفيفة ...

كانت الفيلَّا مضاءة من الداخل ... وتنعكس هذه الإضاءة من خلال شيش النوافذ ...

وشاهد «أحمد» و«عثمان» أشباحًا كثيرة تتحرك بين الفيلَّا والمبنى القديم، ثم لاحظ «عثمان» وجود شبح طائرة صغيرة واقفة على السطح الواسع خلف المبنى القديم ... وتذكَّر ما سمِعه من الرجلين على سطح اليخت ... وترابطت معاني الكلمات في ذهنه ... حلوان ... الطائرة.

كانت النخلة تهتز بشدة مع الريح ... ولكن «أحمد» كان يدير مسدسه في كل اتجاه بحثًا عن المهاجمين ...

وفجأة شاهد شبحًا يتسلل بين النخيل في هدوء وعلى الأضواء البعيدة ... أحس أن هذا الرجل ليس من العصابة ... إنه رجل آخر أشبه ما يكون برقم «صفر».

فهل هو رقم «صفر» أم لا؟

إذا كان رقم «صفر» فلا بُدَّ من حمايته ... ففي غابة النخيل هذه لا أحد يستطيع أن يضمن سلامته ... وظهر خلف الرجل من بعيد ثلاثة أشخاص اقتربوا من النخلتين حيث كان «أحمد» و«عثمان»، وشاهداهم في نفس الوقت ... وقد انطلق الرصاص ... وترنَّح رجلان منهم بينما اختفى الثالث ...

ونزل «أحمد» مسرعًا ... وكذلك فعل «عثمان» وقال الأخير: ثمة طائرة خلف المبنى القديم.

أحمد: طائرة!

عثمان: نعم ... وقد سمعتُ رجلين يتحدثان في اليخت عن طائرة!

أحمد: أي نوع؟

عثمان: إنها من طائرات رش المبيدات.

أحمد: معقول جدًّا وجود طائرة رش مبيدات في منطقة زراعية، وبالطبع يمكن استخدامها في نقل أي شخص.

عثمان: تصور أنه «هشام»!

أحمد: ممكن جدًّا!

عثمان: ولكن إلى أي مدى يمكن أن يحملوه؟

أحمد: من السهل جدًّا نقله إلى شاطئ بحر، حيث تستطيع طائرة من هذا النوع أن تنزل على الشاطئ ... ثم ينقل بواسطة سفينة أو قارب كبير إلى خارج مصر.

عثمان: إذن علينا أن نوقف الطائرة!

أحمد: نعم ... هيَّا بنا!

سار «عثمان» ... أمام «أحمد» بين النخيل في الاتجاه الذي حدده «عثمان» لمكان الطائرة خلف المبنى القديم ...

ومرة أخرى شاهد «أحمد» شبح الرجل المجهول يسير في نفس الاتجاه ...

وقال وهو ينحني على «عثمان»: إن رقم «صفر» هنا.

عثمان: غير معقول!

أحمد: إنني مثل كل واحد من الشياطين لم أره في حياتي ... ولكن هيكله العام، وطريقة سيره يؤكدان أنه هو.

عثمان: قد يصاب بسوء!

أحمد: إن رقم «صفر» من خيرة المقاتلين ... لقد كان أستاذًا في مدرسة الأسلحة الصغيرة، قبل أن ينضم إلى شياطين الكهف السري ... وليس من السهل اصطياد رجل من هذا النوع!

سارا بسرعة ... ووجدا أن السور المحيط بالمبنى القديم والفيلَّا عالٍ جدًّا ... ومحكم الإغلاق ... واستطاعا أن يشاهدا فوق السور أشباح الحراس ... كان واضحًا أن العصابة قد أكملت خطتها ... مكان بعيد ... محروس جيدًا ... ولا أحد يعرف ماذا يدور خلف السور.

كانت فكرة تسلُّق السور مستحيلة ... ولا بُدَّ للوصول إلى الطائرة من اجتياز السور ... وشاهد «أحمد» بلدوزر مما يستخدم في جرِّ السيارات وتمهيد الأرض يقف غير بعيد ...

وقال لـ «عثمان»: سأستخدم هذا البلدوزر.

عثمان: ولكنك ستُحدث ضجَّة عالية.

أحمد: ابحث عن «إلهام» و«زبيدة»، وقوموا بحمايتي ... بينما أندفع بالبلدوزر لتحطيم جزء من السور واقتحام المكان ... وعليكما بحماية الفتحة.

عاد «عثمان» إلى الخلف، وأطلق صيحة البومة ... كان يعرف أن «إلهام» و«زبيدة» قريبتان ... وفعلًا جاء الرد وسار بضعة أمتار إلى اتجاه الصوت والتقى الثلاثة ...

وشرح لهما «عثمان» خطة «أحمد»، وقال: إن رقم «صفر» هنا.

صاحتا في نفس واحد: رقم «صفر»!

عثمان: نعم ... لقد حصل على نفس المعلومات ... إنه رجل عبقري.

إلهام: لماذا لا ينضم إلينا؟

عثمان: ألا تتذكرين أنه طلب أن نعود فورًا ... إننا الآن نخالف الأوامر.

ووقف الثلاثة قرب البلدوزر الذي لم يجد «أحمد» أي صعوبة في إدارته ... ثم عاد به إلى الخلف بضعة أمتار، واندفع في اتجاه السور كالعاصفة ... وقد غطَّى صوت الرياح على صوت البلدوزر الذي اصطدم بالسور صدمة أحدثت دويًّا مخيفًا ... وقفز «أحمد» من البلدوزر ... واندفع «عثمان» و«إلهام» و«زبيدة» خلفه وهم يطلقون الرَّصاص بشكل متصل ...

فكَّر «أحمد» لحظات ... ثم عاد يقفز إلى البلدوزر مرة أخرى ... ثم يعود إلى الخلف، وينطح الجدار مرة أخرى ... ليوسع الثغرة التي فتحها ... ثم يسرع بالبلدوزر، وطلقات الرصاص تنهمر من كل اتجاه ... وظل يجري به، حتى وصل إلى الطائرة ... ثم ينطحها بالبلدوزر نطحة قوية أطاحت بها ثم قلبتها على جانبها ... عندئذ انفتحت أبواب الجحيم ... فقد انفتحت نوافذ المبنى القديم والفيلَّا، وتحوَّلت الحديقة إلى ساحة قتال بين الأطراف المختلفة ... واشتعل الليل بالنار.

الرجل العظيم

كانت طلقات الرَّصاص تشبه عصافير ملونة تنطلق في جو الحديقة المظلم ... وأشار «أحمد» إلى «إلهام» و«زبيدة» بالانطلاق والالتفاف حول المبنى القديم والفيلَّا ... فقد توقَّع أن يحاول زعماء العصابة الهرَبَ من الباب الخلفي أثناء تبادل إطلاق النيران.

قاد «أحمد» البلدوزر، و«عثمان» يحتمي بجانبه في محاولة لاقتحام الفيلَّا، واستطاعا أن يشقَّا طريقهما بين مئات الطلقات التي تُدوِّي في كل مكان ... حتى لم يعد أحد يعرف مَنْ يضرب مَنْ.

وصل «أحمد» إلى باب الفيلَّا بالبلدوزر ... واقتحمه كأنه دبابة في معركة ... واهتزَّ المبنى كله أمام الصدمة، وساد الصمت لحظات ... بينما قفز «عثمان» ... إلى داخل الفيلَّا ... وكان أول مشهد وقعت عيناه عليه ... ثلاثة رجال يجرون من الباب الخلفي ... فأطلق ثلاث طلقات مباشرة على سيقانهم لمنعهم من الحركة ... وسقط الثلاثة ...

ثم شاهد شخصًا يحمل مدفعًا رشَّاشًا ينزل على السُّلَّمِ الداخليِّ وهو يُطلق الرصاص في كل اتجاه ... وألقى «عثمان» نفسه تحت إحدى الموائد ... لم يكن مسدسه يكفي لمواجهة هذا المدفع القوي ... وفجأة ظهر «أحمد» ... وأطلق «عثمان» صيحة البومة؛ تحذيرًا عندما انطلق المدفع الرشاش في اتجاه «أحمد» ... مما أتاح الفرصة لـ «عثمان» ... أن يبرز من تحت المائدة، ويوجِّه طلقة مُحْكَمة إلى الرجل، اهتز لها لحظات ثم سقط على السُّلَّم ... وأخذ يتدحرج حتى وصل إلى الصالة ...

سكتت طلقات الرصاص داخل الفيلَّا ... فأسرع «أحمد» و«عثمان» إلى الغرف يفتحانها ويفتِّشان فيها ...

كانت الغرف خالية ... وفي غرفة أخيرة صغيرة خلف الفيلَّا، عثرا على شيء هام ... فردة حذاء صغيرة تناسب صبيًّا في عمر «هشام» ... كان هذا الأثر كافيًا ليعرفا أنهما في

الطريق الصحيح ... ثم أثار انتباهَ «أحمد» شيء آخر ... ففي نهاية الغرفة في الاتجاه نحو المبنى القديم كان ثمة إطار ضخم لصورة ليست موجودة.

وبدأ «أحمد» يتحسَّس هذا الإطار في جوانبه المختلفة ... كانت أصابعه حساسة كأصابع الجرَّاح وأحسَّ ببروز صغير في الزاوية العليا للبرواز فضغط عليه ... وسرعان ما انفتح البرواز ودار حول نفسه ... وانكشف عنه باب يؤدي إلى دهليز طويل تحت مستوى الأرض.

أضاء «أحمد» كشافه الكهربائي، ونزل وخلفه «عثمان»، كانت هناك أشياء كثيرة مبعثرة كأنما سقطت سهوًا من أشخاص كانوا يجرون ... ثم وصلا إلى سُلَّم قديم من الخشب صعداه إلى فوق ... ووجدا تقسيمًا بجوار سور المبنى القديم في وسط النخيل ... وسمعا صوت سيارة تبتعد ... وقال «أحمد»: من المدهش أنها إحدى السيارتين المرسيدس!

عثمان: لعل «إلهام» و«زبيدة» يطاردان أحدًا من العصابة!

أحمد: أكثر من ذلك ... إنني أتوقع ...

وقبل أن يكمل «أحمد» جملته انفجرت عبوة ناسفة أخرى على بعد عشرة أمتار ... وبدا واضحًا أن سلسلة الانفجارات سوف تصل في ثوانٍ إلى حيث «أحمد» و«عثمان»، ولم يكن أمامهما إلا النزول مرة أخرى في الدهليز الذي تحت الأرض ... فليست هناك حماية أفضل منه.

سارعا بالنزول ... وقد كان ذلك أفضل ما فعلاه ... فقد هزَّ الأرضَ انفجار ثالث في نفس المكان الذي كانا فيه ... وأخذا يجريان في اتجاه الفيلَّا في الظلام ... ولكن عندما وصلا إلى بداية الدهليز، اهتزت الفيلَّا بانفجار عنيف، وانهار جزء من مدخل الدهليز وأُغلق الباب ...

هكذا وجد «أحمد» و«عثمان» نفسيهما داخل الدهليز المظلم وقد أُغلق البابان ... وانتشرت رائحة الديناميت ... وساد ظلام كثيف ...

قال «أحمد»: لقد وقعنا في فخ مخيف!

عثمان: إننا لم نُقدِّر ذكاء رجال العصابة كما ينبغي ... ويبدو أن هناك أجهزة تليفزيونية تراقب الدهليز ... ومركزًا للتحكم في أعلى الفيلَّا.

كان الموقف حرجًا ... وصعبًا ... ومخيفًا ... خاصة وأن «إلهام» و«زبيدة» قد ابتعدتا عن المكان ولم يعد هناك مَنْ يمكن أن يقوم بإنقاذهما من هذا المأزق.

أخذا يتقدمان ببطء بين ركام الأحجار المنهارة ... وقد انتابهما سعال قوي نتيجة البارود المنفجر ... كان «أحمد» يفكر في الاحتمالات القادمة ... إذا استمر بقاؤهما في الدهليز المغلق نصف ساعة على الأكثر فسوف يموتان اختناقًا ...

وفعلًا ... بدأ الأكسجين في الهواء ينفد تدريجيًّا ... وأحسَّ «أحمد» بالاختناق ... وكذلك «عثمان» ... وحاولا قدر الإمكان أن ينظما تنفسهما حتى لا يستهلكا كمية أكبر من الأكسجين ... ولكن حتى ذلك لم يكن ممكنًا ... وبدأ كل منهما يحس بالإغماء ... ولم يكن في إمكانهما أن يتحدثا ...

أشار «أحمد» إلى «عثمان» أن يتمدد على الأرض ... حتى لا يبذل مجهودًا يستهلك به القليل من الأكسجين الذي بقيَ في الدهليز ... وتمدد كلاهما على الأرض في انتظار المصير المحتوم ... فلم يكن في الإمكان مطلقًا إزالة الأحجار، والشظايا التي تجمَّعت ... وسدَّت البابين بعد الانفجار ...

ولكن فجأة ... وهما بين اليقظة والإغماء سمِعا صوت دقٍّ منتظم عند مدخل الدهليز من ناحية المبنى القديم ... ثم سمعا صوتًا عميقًا يعرفانه جيدًا ... صوتًا طالما استمعا إليه في المقر السري ... صوت رقم «صفر» ... كان كعادته يُلقي التعليمات ... قال لهما: إنني طلبت من الشياطين البقاء في الكهف ... ولكن خالفتم تعليماتي ... على كل حال ... أنا شاكر لكم جدًّا ... ما فعلتموه من أجلي ... والآن، أنت يا رقم «واحد»، ورقم «اثنين» ... ازحفا بهدوء جدًّا في الاتجاه ناحية المبنى القديم ...

وبدأ «أحمد» و«عثمان» الزحف رغم ضِيق التنفُّس والإحساس بالإغماء ...

عاد رقم «صفر» يقول: أعتقد أنكما ستصلان إلى سطح الأرض بعد نحو عشرة أمتار ... عودا فورًا إلى المقر السري.

بدأت تهب ريح باردة محمَّلة بالأكسجين ... داخل الدهليز ... وفي ثوانٍ قليلة أخذ «أحمد» و«عثمان» يستردَّان وعيهما ... ثم وصلا إلى نهاية الدهليز ... وكانت هناك فتحة تكفي لخروجهما.

صعدا مرة أخرى إلى سطح الأرض ... وأخذ كل منهما نفسًا عميقًا ... ونظرا حولهما ... كان شبح رقم «صفر» يبدو من بعيد يسير بخطواته الثابتة ...

قال «عثمان»: يا له من رجل عظيم!

أحمد: يجب أن ننقذ «هشام»!

عثمان: ولكن أين «هشام» الآن؟

أحمد: إنني أعرف أين يمكن أن يكون.

شكرًا لكم!

قفز «أحمد» و«عثمان» إلى السيارة المرسيدس، كانت النيران مشتعلة في المكان كله ... وقد تجمَّع عدد من الفلَّاحين، وظهرت سيارة الشرطة من بعيد ... واختار «أحمد» طريقًا جانبيًّا ... حتى لا يراه أحد، ثم انطلق بالسيارة كالعاصفة فدار دورة واسعة بين الطرقات المتشابكة، ثم صعد إلى الكوبري عائدًا من نفس الطريق ... وقال «عثمان»: إنك عائد إلى فيلَّا المعادي حيث كانت السيارة الكاديلاك.

أحمد: طبعًا!

عثمان: ولكن كيف عرف رقم «صفر» طريقنا تحت الأنقاض وفي ذلك الممر المميت؟

أحمد: لقد كان يتابع الضرب عن قرب ... ولعلك لاحظت أن بعض الطلقات المتفرقة من الجانب الأيمن كانت تُطلق على العصابة وليس علينا ... وهذا معناه أنه كان هناك وشاهدنا ونحن نُحطِّم الباب بالبلدوزر وندخل ... ولعله كان خلفنا دون أن ندري.

عثمان: إنه زعيم رهيب!

أحمد: بالطبع ... فهو مُخْلص لعمله جدًّا، ومدرَّب تدريبًا رائعًا لا يمكن أن تجد مثله!

عثمان: ولكنَّنا لم نعرف حتى الآن ماذا طلبت العصابة من رقم «صفر» مقابل إطلاق سراح «هشام».

أحمد: ولعلنا لن نعرف أبدًا ... ولكن الاستنتاج ممكن طبعًا، فماذا سيطلبون من رقم «صفر»؟ ... هل يطلبون فديةً مثلًا؟ إنه رجل فقير وهذه العصابات منظمة وغنية، بل إنهم على استعداد لأن يدفعوا له الملايين مقابل أية معلومات يُدلي بها.

عثمان: إذن كانت عملية للضغط عليه؟

أحمد: بالطبع!

كان عدَّاد السرعة في السيارة يتجاوز ١٥٠ كيلومترًا في الساعة، و«أحمد» يفكر في اللحظات القادمة ... إن رقم «صفر» موجود، ويجب أن تكون هذه اللحظات لحظات ناجحة.

وصلا إلى المعادي وانحرف «أحمد» يمينًا، فقال «عثمان»: إنه ليس نفس الطريق.

أحمد: إنني سأدور وأدخل من شارع جانبي.

وبعد لحظات كانت السيارة تهدِّئ من سرعتها، ثم تقف ويقفز «عثمان» و«أحمد» في الظلام ... ولم يتقدما سوى بضع أمتار حتى سمعا صوت البومة تنعق في الظلام ... سمعاه رغم الريح العاتية والمطر الذي بدأ يتساقط ... وأدركا أن «زبيدة» و«إلهام» قريبتان ...

تقدَّما تجاه الصوت فوجدا الفتاتين ... قالت «إلهام» على الفور: لقد انتظرناكما ... عدد الرجال في الداخل خمسة ... والسيارة الكاديلاك جاهزة للرحيل ... هناك سائق ... فهم إذن ستة ... ورأينا أن ننتظر حتى يتكامل عددنا ... وحتى لا نصيب «هشام».

أحمد: السائق أولًا ... وسأجلس مكانه ... هل يرتدي زيًّا معينًا؟

إلهام: نعم ... معطف أسود، وطاقية صوفية سوداء تغطِّي وجهه.

أحمد: هذا مناسب جدًّا ... سينطلقون في سيارتين ... الكاديلاك وسيارة أخرى ...

زبيدة: شاهدت سيارة أخرى من طراز بويك.

أحمد: سأركب مكان السائق ... و«عثمان» ينطلق مع «زبيدة» لمطاردة السيارة الثانية و«إلهام» تتبعني.

وانطلق «أحمد» في الظلام ومعه «عثمان»، وشاهدا السيارة الكاديلاك، وقد جلس السائق في مقعد القيادة وأدار المحرك ... كان أمام «عثمان» فتحة النافذة فقط ليصيب الهدف ... ورغم الظلام المتكاثف فقد وزن كرته الجهنمية بضع مرات ... ثم أطلقها كالرصاصة في اتجاه رأس السائق، الذي مال على الفور جانبُه ...

قفز «أحمد» مع «عثمان» إليه ... حملاه جانبًا، وأخذ «أحمد» المعطف وارتداه، ووضع الطاقية الصوف على رأسه، وشَعَر بالسعادة لأنه أحسَّ بالدِّفء.

حمل «عثمان» كرته، وعاد إلى مكانه ... بعد ثانية واحدة ظهر رجلان ... وكان أحدهما يحمل طفلًا على كتفيه ... ولم يكن هناك شك أنه «هشام» ...

نزل «أحمد» مسرعًا، وهو يداري وجهه قدر الإمكان ... وفتح الباب الخلفي، فوضع الرجل «هشام» على الكرسي الخلفي ... وجلس بجانبه ... وركب الآخر بجوار «أحمد» وقال: هيَّا بنا!

أحس «أحمد» بالخطر ... فقد يكتشف الرجل شخصيته في أية لحظة ... وتظاهر بالانهماك في عمله، وانطلق بالسيارة وخلفه تحركت السيارة البويك ...

كان «أحمد» يريد أن ينتهيَ من عمله قبل أن يصل إلى المدينة المزدحمة ... وهكذا انطلق بهدوء إلى الكورنيش ثم انحرف يمينًا ... وظل يسير بضع دقائق حتى وصل إلى المستشفى الكبير ... كان بجوار المستشفى شارع ضيِّق يصلح للخطَّة ... انطلق مُسرِعًا بشكل مخيف حتى صاح الرجل الذي بجواره بالإنجليزية: ماذا تفعل أيها الغبي؟!

ولكن «أحمد» لم يتوقَّف، وانحرف يسارًا بسرعته العالية ... وأمسك بمِقْود السيارة بيده اليسرى وبيده اليمنى ... وبسرعة هائلة فتح باب السيارة ودفع الرجل الذي بجواره فنزل يتدحرج ثم اصطدم بالسيارة وهو يضغط الفرامل ويتمسك بمِقْود السيارة حتى لا يصطدم بالزجاج ... وفي نفس الوقت كان الراكب الآخر قد اصطدم بحاجز السيارة صدمة قوية، وقفز «أحمد» مسرعًا، وفتح الباب وجذبه إلى الخارج ... ثم أطلق يده في لكمة هائلة سقطت على الرجل كالصخرة فسقط ...

وظهرت أضواء السيارة البويك وهي تنحرف وانطلقت منها بضع رصاصات ... ولكن «أحمد» ألقى بنفسه بجوار السيارة الكاديلاك ... وظهرت السيارة التالية ... وكانت المرسيدس وبها «عثمان» و«زبيدة» اللذان أطلقا نيرانهما على السيارة البويك ... فأصابا الإطارات ... وانحرفت السيارة بشدة، ثم دارت حول نفسها ... وسقطت في الترعة المجاورة للمستشفى.

أسرع «أحمد» إلى «هشام» وحمله بين ذراعيه ... ثم قفز إلى السيارة المرسيدس وصاح: بأقصى سرعة!

كان «هشام» نائمًا تحت تأثير مخدِّر خفيف، واستيقظ على الصراع والحركة ... ففتح عينيه ... وأخذ ينظر حوله في دهشة.

وقال «أحمد»: لا تخشَ شيئًا، أنت مع أصدقاء خالك.

عندما عادوا إلى الكورنيش مرة أخرى شاهدوا — تحت المطر المنهمر ... وفي الظلام الكثيف — شخصًا يقف بجوار سيارة مفتوحة المحرك ... وهذا يعني أنها مُعطَّلة ... وأدرك «أحمد» على الفور مِن وقفة الرجل في ظل السيارة حتى لا يراه أحد ... أنه رقم «صفر» وأن سيارته تعطَّلت ولهذا لم يلحق بهم ...

كان على «أحمد» أن يتصرف بحيث لا يكشف رقم «صفر» للأضواء، فأشار بيده إلى السيارة الثانية فتوقَّفت ... ونزل وطلب من «إلهام» أن تركب معهم ... ثم حمل «هشام» ووضعه في السيارة المرسيدس وقال: انتظروا ... سوف أعود إليكم.

قاد «أحمد» السيارة المرسيدس بهدوء وبدون أضواء حتى وقف أمام السيارة المعطَّلة ... ثم فتح الباب وترك الموتور دائرًا ونزل ... ودون نظرة واحدة أسرع عائدًا إلى السيارة الثانية ... وعندما استدار، شاهد الشبح يخرج من جانب السيارة المعطلة ثم يركب المرسيدس وينطلق بها.

في تلك الليلة الباردة ... في المقر السري في الدقي تلقَّى الشياطين مكالمة من رقم «صفر»، تحدث فيها ببضع كلمات: لقد خالفتم التعليمات ... ولكن شكرًا!

ردَّ «أحمد»: سيدي ... هناك ولد مشلول ساعدَنا كثيرًا في البحث عن «هشام»، ونريد أن تتولَّى المنظمة علاجه ...

ردَّ رقم «صفر»: سنعالجه مهما كلَّفنا ... شكرًا لكم ...

هنـــداوي